فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق ﴾

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٣ ٢٥ الحوت (ش ٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٦ مارس ١٩١٥

كلام الصوفية في الوقت

من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين . قال :

ومنها الوقت . قال صاحب المنازل (باب الوقت)

﴿ قال الله تعالى (ثم جئت على قدر يا موسى) الوقت اسم لظرف الكون ، وهو اسم في هذا الباب لثلاثة معان على ثلاث درجات [١] : المعنى الاول [٢] حين وجد [٣] صادق لإيناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء ، أو [٤] لعصمة جذبها صدق خوف ، أو لتلهب شوق جذبه اشتعال محبة ﴾ وجه استشهاده بالآية ان الله سبحانه قدر مجيء موسى أحوج ما كان الوقت اليه ، فان العرب تقول : جاء فلان على قدر . اذا جاء وقت الحاجة اليه ، قال جرير :

نال الخلافة اذ كانت على قدر كما أتى ربه موسى على قدر

وقال مجاهد : على موعد . وهذا فيه نظر لأنه لم يسبق بين الله سبحانه وبين موسى موعد للمجيء حتى يقال انه أتى على ذلك الموعد ، ولكن وجه هذا ان المعنى جئت على الموعد الذي وعدناه أن ننجزه ، والقدر الذي قدرناه أن يكون في وقته . وهذا كقوله تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ، ويقولون : سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لان الله سبحانه وتعالى وعد بارسال نبي في آخر الزمان يملأ الأرض نورا وهدى ، فلما سمعوا القرآن علموا ان الله أنجز ذلك الوعد الذي وعد به . واستشهاده بهذه الآية يدل على محله من العلم ، لأن الشيء إذا وقع في وقته الذي هو أليق الاوقات بوقوعه فيه كان أحسن وأنفع وأجدر ، كما إذا وقع الغيث في أحوج الأوقات اليه ، وكما اذا وقع الفرج في وقته الذي يليق به

(١) قال في المتن « وهو على ثلاث درجات » (٢) وقال فيه : الدرجة الاولى
(٣) وفيه « وجد وجه » الخ (٤) سقطت هذه الجملة من نسخة المتن

ومن تأمل أقدار الرب تعالى وجريانها في الخلق علم انها واقعة في أليق الاوقات بها ، فبعث الله سبحانه موسى أحوج ما كان الناس الى بعثه ، وبعث عيسى كذلك ، وبعث محمدا صلى الله (عليه و)عليهم أجمعين أحوج ما كان أهل الارض الى ارساله، فهكذا وقت العبد مع الله يعمره بانفع الاشياء له أحوج ما كان الى عمارته

قوله « الوقت ظرف الكون » الوقت عبارة عن مقاربة حادث لحادث عند المتكلمين ، فهو نسبة بين حادثين ، فقوله ظرف الكون أي وعاء التكوين فهو الوعاء الزماني الذي يقع فيه التكوين ، كما ان ظرف المكان هو الوعاء المكاني الذي يحصل فيه الجسم ، ولكن الوقت في اصطلاح القوم أخص من ذلك . قال أبو علي الدقاق : الوقت ماأنت فيه ، فان كنت في الدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعقبى فوقتك العقبى ، وان كنت بالسرور ، فوقتك سرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن . يريد أن الوقت ما كان الغالب على الانسان من حاله ، وقد يريد أن الوقت مابين الزمانين الماضي والمستقبل ، وهو اصطلاح أكثر الطائفة ، ولهذا يقولون : الصوفي والفقير ابن وقته . يريدون أن همته لاتتعدى وظيفة عمارته بما هو أولى الاشياء به وأنفعها له ، فهو قائم بما هو مطالب به في الحين والساعة الراهنة ، فهو لايهتم بماضي وقته وآتيه، بل بوقته الذي هوفيه ، فان الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضيع الحاضر ، وكلما حضر وقت اشتغل عنه بالطرفين فتصير أوقاته كلها فوات .

قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم الا بكلمتين : سمعتهم يقولون الوقت سيف فان قطعته والا قطعك ، ونفسك ان لم تشغلها بالحق والا شغلتك بالباطل

قلت : يالهما كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلهما ويقظته ! ويكفي هذا ثناء من الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم

وقد يريدون بالوقت ماهو أخص من هذا كله، وهو ما يصادفهم في تصريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم . ويقولون : فلان بحكم الوقت . أي مستسلم

لما يأتي من عند الله من غير اختيار ، وهذا يحسن في حال ويحرم في حال وينقض صاحبه في حال ، فيحسن في كل موضع ليس لله على العبد فيه أمر ولا نهي ، بل في موضع جريان الحكم الكوني الذي لا يتعلق به أمر ولا نهي كالفقر والمرض والغربة والجوع والالم والحر والبرد ونحو ذلك ، ويحرم في الحال التي يجري عليه فيها الامر والنهي والقيام بحقوق الشرع ، فان التضييع لذلك والاستسلام والاسترسال مع القدر انسلاخ من الدين بالكلية ، وينقص صاحبه في حال تقتضي قياما بالنوافل وأنواع البر والطاعة ، واذا أراد الله بالعبد خيرا أعانه بالوقت وجعل وقته مساعدا له ، واذا أراد به شرا جعل وقته عليه ونا كده وقته فكلما أراد التأهب للسير لم يساعده[1] الوقت ، والاول كلما همت نفسه بالقعود أقامه الوقت وساعده

وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام : أصحاب السوابق ، وأصحاب العواقب ، وأصحاب الوقت ، وأصحاب الحق ، قال :

(فاما أصحاب السوابق) فتلوبهم أبدا فيما سبق لهم من الله ، لعلمهم ان الحكم الازلي لا يتغير باكتساب العبد ، ويقولون : من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل . ففكرهم في هذا أبدا ، ومع ذلك فهم يجدون في القيام بالاوامر واجتناب النواهي والتقرب الى الله بأنواع القرب غير واثقين بها ولا ملتفتين اليها ، يقول قائلهم :

من أين أرضيك الا أن توفقني ... هيهات هيهات ما التوفيق من قبلي

ان لم يكن لي في المقدور سابقة ... فليس ينفع ماقدمت من عملي

وأما (أصحاب العواقب) فهم متفكرون فيما يختم به أمرهم ، فان الامور بأواخرها والاعمال بخواتيمها . والعاقبة مستورة كما قيل :

لا يغرنك صفا الاوقات ... فان تحتها[2] غوامض الآفات

فكم من ربيع نورت أشجاره ، وظهرت أزهاره ، وزهت ثماره ، لم يلبث ان

---

(١) سقط من ن قوله « واذا أراد به شرا » الى هنا — فنقلناه من ب

(٢) لعل الاصل « فتحتها » فبه يستقيم الوزن ، أو ان كلمة صفاء ممدودة وربما كانت العبارة سجعا ولكنها كتبت في ب كما يكتب الشعر

أصابته جائحة سماوية فصار كما قال الله عز وجل (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها انهم قادرون عليها - الى قوله - يتفكرون) فكم من مريد كبابه جواد عزمه [فخر صريعه لليدين والفم] وقيل لبعضهم وقد شوهد منه خلاف ما كان يعهد عليه : ما الذي أصابك ؟ فقال حجاب وقع ، وأنشد

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء مايأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ليس العجب ممن هلك كيف هلك انما العجب ممن نجا كيف نجا

[تعجبين من سقمي صحتي هي العجب] الناكصون على أعقابهم أضعاف أضعاف من اقتحم العقبة :

خذ من الالف واحدا واطرح الكل بعده

وأما (أصحاب الوقت) فلم يشغلوا[1] في السوابق ولا في العواقب، بل اشتغلوا بمراعاة الوقت ومايلزمهم من أحكامه ، وقالوا : العارف ابن وقته[2] لاماضي له ولا مستقبل ، ورأى بعضهم الصديق رضي الله عنه في منامه فقال أوصني ، فقال له : كن ابن وقتك

وأما (أصحاب الحق) فهم مع صاحب الوقت والزمان ومالكهما ومدبرهما ، مأخوذون بشهوده عن مشاهدة الأوقات ، ولا يتفرغون لمراعاة وقت وزمان كما قيل :

لست أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلا

ان للعاشقين عن قصر اللبـ ـل وعن طوله من الحب شغلا

قال الجنيد : دخلت على السري يوما فقلت له كيف أصبحت فأنشأ يقول :

ما في النهار ولا في الليل لي فرج فلا أبالي أطال الليل أم قصرا

ثم قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار، يشير الى انه غير متطلع الى الأوقات ، بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار

(١) قال في ب بالفكر في السوابق ٢ وفيها ، العارف لا ماضي له الخ

فصل

قال صاحب المنازل « الوقت اسم في هذا الباب لثلاث معان : المعنى الاول حين وجد صادق » أي وقت وجد صادق . أي زمن من وجد يقوم بقلبه وهو صادق فيه غير متكلف له ولا متعمل في تحصيله « يكون متعلقه ايناس ضياء فضل » أي رؤية ذلك ، ولإيناس الرؤية قال الله تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارًا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا) وليس هو مجرد الرؤية ، بل رؤية مايأنس به القلب ويسكن اليه ، ولا يقال لمن رأى عدوه أو مخوفا « آنسه » ومقصوده ان هذا الوقت وقت وجد صاحبه صادق فيه لرؤية ضياء فضل الله ومنه عليه ، والفضل هو العطاء الذي لايستحقه المعطى أو يعطى فوق استحقاقه ، فاذا آنس هذا الفضل وطالعه بقلبه أثار ذلك [١] فيه وجدا آخر باعثا على محبة صاحب الفضل والشوق الى لقائه ، فان النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها . ودخلت يوما على بعض أصحابنا وقد حصل له وجد أبكاه فسألته عنه فقال : ذكرت مامنّ الله به على من السنة ومعرفتها والتخلص من شبه القوم وقواعدهم الباطلة وموافقة العقل الصريح والفطرة السليمة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسرني ذلك حتى أبكاني . فهذا الوجد أثاره ايناس فضل الله ومنه

قوله «جذبه صفاء رجاء » أي جذب [٢] ذلك الوجد أو الإيناس أو الفضل رجاء صاف غير مكدر ، والرجاء الصافي هو الذي لا كدر يشوبه [٣] بوهم معاوضة منك ؛ وان عملك هو الذي بعثك على الرجاء ، فصفاء الرجاء يخرجه [٤] من ذلك بل يكون رجاء محضا لمن هو مبتدئ بالنعم من غير استحقاق ، والفضل كله له ومنه . وفي يده أسبابه وغاياته ووسائله وشروطه وصرف موانعه . كل بيد الله لايستطيع العبد أن ينال منه شيئا بدون توفيقه واذنه ومشيئته

---

(١) في ب « بذلك » ٢ وفيها « جذبه » (٣) كانت العبارة عندنا ناقصة فصححت على ب (٤) في ب « يخلصه »

ويلخص ذلك ان الوقت في هذه الدرجة الاولى عبارة عن وجد صادق سببه رؤية فضل الله على عبده ، لان رجاءه كان صافيا من الا كدار

قوله « أو لعصمة جذبها صدق خوف » اللام في قوله أو لعصمة معطوف على اللام في قوله أو لإيناس ضياء فضل . أي وجد لعصمة جذبها صدق خوف، فاللام ليست للتعليل بل هي على حدها في قولك : ذوق لكذا ، ورؤية لكذا. فمتعلق الوجد عصمة، وهي منعة وحفظ ظاهر وباطن جذبها صدق خوف من الرب سبحانه، والفرق بين الوجد في هذه الدرجة والتي قبلها ان الوجد في الاولى جذبه صدق الرجاء وفي الثانية جذبه صدق الخوف ، وفي الثالثة التي تذكر جذبه صدق الحب ، فهو معنى قوله « أو لتلهب شوق جذبه اشتعال محبة » وخدمته التورية في اللهيب والاشتعال ، والمحبة متى قويت اشتعلت نارها في القلب فحدث عنها لهيب الاشتياق الى لقاء الحبيب ، وهذه الثلاثة التي تضمنتها هذه الدرجة وهي الحب والخوف والرجاء هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الاولى لصاحبه والانفع له ، وهي أساس السلوك والسير الى الله ، وقد جمع الله سبحانه الثلاثة في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة – أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا) وهذه الثلاثة هي قطب رحى العبودية وعليها دارت رحى الاعمال والله أعلم

فصل

قال « والمعنى الثاني (١) اسم لطريق سالك يسير بين تمكن وتلون ، لكنه الى التمكن ما هو يسلك الحال ، ويلتفت الى العلم ، فالعلم يشغله (٢) في حين ، والحال يحمله في حين ، فبلاؤه بينهما يذيقه شهوده طورا ، ويكسوه عبرة طورا ، ويريه غيرة تفرق طورا » فهذا المعنى هو المعنى الثاني من [illegible] من معاني الوقت عنده ، قوله « اسم لطريق سالك » هو على الاضافة أي لطريق عبد سالك ، قوله

(١) في المتن « الدرجة الثانية » (٢) في ب « يستعمله »

« يسير بين تمكن وتلون » أي ذلك العبد يسير بين تمكن وتلون ؛ والتمكن هو الانقياد الى أحكام العبودية بالشهود والحال ، والتلون في هــذا الموضع خاصــة هو الانقياد الى أحكام العبودية بالعلم . فالحال يجمعه بقوته وسلطانه فيعطيه تمكينا، والعلم يلونه بحسب متعلقاته وأحكامه؛ قوله « لكنه الى التمكن ماهو يسلك الحال ويلتفت الى العلم » يعني ان هذا العبد هو سالك الى التمكن مادام يسلك الحال ، ويلتفت الى العلم [٣] فاما إن سلك العلم والتفت الى الحال لم يكن سالكا الى التمكن ، فالسالكون ضربان : سالكون على الحال ملتفتون الى العلم وهم الى التمكن أقرب ، وسالكون على العلم ملتفتون الى الحال وهم الى التلون أقرب . هذا حاصل كلامه

وهذه الثلاثة هي المفرقة بين أهل العلم وأهل الحال حتى كأنهما غيران وحربان، وكل فرقة منهما لاتأنس بالأخرى ولاتعاشرها إلاعلى الخاص ونوع استكراه ، وهذا من تقصير الفريقين حيث ضعف أحدهما عن السير في العلم وضعف الآخر عن الحال في العلم . فلم يتمكن كل منهما من الجمع بين الحال والعلم . فأخذ هؤلاء العلم وسعته ونوره ورجحوه ، وأخذ هؤلاء الحال وسلطانه وتمكينه ورجحوه ، وصار الصادق الضعيف من الفريقين يسير باحدهما ملتفتا الى الآخر ، فهذا مطيع الحال [٢] وهذا مطيع العلم ؛ لكن المطيع للحال متى عصى به العلم كان منقطعا محجوبا وان كان له من الحال ماعساه أن يكون، والمطيع للعلم متى أعرض به عن الحال كان مصيبا منقوصا مشتغلا بالوسيلة عن الغاية ، وصاحب التمكن يتصرف علمه في حاله ويحكم عليه فينقاد لحكمه ، ويتصرف حاله في علمه فلا يدعه يتوقف معه ، بل يدعوه الى غاية العلم فيجيبه ويلبي دعوته ، فهذه حال الكمل من هذه الامة

ومن استقرأ أحوال الصحابة وجدها كذلك . ثم فرق المتأخرون بين الحال والعلم دخل عليهم النقص والخلل والله المستعان (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) فكذلك يهب لمن يشاء علما ولمن يشاء حالا ؛ ويجمع بينهما لمن يشاء ويخلي من

(١) سقطت هذه الجملة من ن فاثبتناها من ب

(٢) في ن « الى الحال » وهو غلط

يشاء منهما

قوله « فالعلم يشغله في حين » أي يشغله عن السلوك الى تمكن الحال ، لان العلم متنوع التعلقات فهو يفرق ، والحال يجمع، فانه يدعوه الى الفناء وهناك سلطان الحال؛ قوله « والحال يحمله في حين » أي يغلب عليه الحال تارة فيصير محمولا بقوة الحال وسلطانه على السلوك فيشتد [1] سيره بحكم الحال ، يعني واذا غلبه العلم شغله عن السلوك ، وهذا هو المعهود من طريقة المتأخرين [ان العلم يشغل عن السلوك] ولهذا يعدون السالك من سلك على الحال ملتفتا الى العلم . وأما على ماقررناه من أن العلم يعين على السلوك ويحمل عليه ويكون صاحبه سالكا به وفيه فلا يشغله العلم عن سلوكه وان أضعف سيره على درب الفناء ، فلا ريب ان العلم لايجامع الفناء ، فالفناء ليس هو غاية السالكين الى الله بل ولاهو لازم من لوازم الطريق وان كان عارضا من عوارضها يعرض لغير الكمل — كما تقدم تقرير ذلك — فبينا ان الفناء الكامل الذي هو الغاية المطلوبة الفناء عن محبة ماسوى لله وارادته فيفنى بمحبة الله عن محبة ماسواه . وبارادته ورجائه والخوف منه والتوكل عليه والانابة اليه عن ارادة ماسواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه ، وهذا الفناء لاينافي العلم بحال ، ولا يشغل عن العلم ولا يحول بين العبد وبينه ، بل قد يكون في أغلب الاحوال من أعظم أعوانه ، وهذا أمر غفل عنه أكثر المتأخرين بحيث لم يعرفوه ولم يسلكوه ، ولكن لم يخل الله الارض من قائم به داع اليه

قوله « فبلاؤه بينهما » أي عذابه وألمه بين داعي الحال وداعي العلم ، فايمانه يحمله على اجابة داعي العلم ، وواارده يحمله على اجابة داعي الحال ، فيصير كالغريم بين مطالبين، كل منهما يطالبه بحقه وليس بيده الا مايقضي أحدهما ، وقد عرفت ان هذا من الضيق والا فمع السعة يوفي كلا منهما حقه .

قوله « يذيقه شهوداً طوراً » أي ذلك البلاء الحاصل بين الداعيين يذيقه شهوده طوراً ، وهو الطور الذي يكون الحاكم عليه فيه هو العلم

قوله « ويكسوه عبرة طوراً » الظاهر انه عبرة بالباء الموحدة والعين ، أي اعتبارا

(١) وفيها « فيشتمل »

بافعاله واستدلالا عليه بها ؛ فانه سبحانه دل على نفسه بافعاله ؛ فالعلم يكسو صاحبه اعتبارا واستدلالا على الرب بأفعاله

ويصح أن يكون عبرة بالعين المهملة [١] والياء المثناة من تحت ومعناه ان العلم يكسوه عبرة [٢] من حجابه عن مقام صاحب الحال ، فيعار من [٣] احتجابه عن الحال بالعلم وعن العيان بالاستدلال وعن الشهود الذي هو مقام الاحسان بالايمان الذي هو ايمان بالغيب

قوله « ويريه غيرة تفرق طوراً » هذا بالغين المعجمة ليس الا ، أي ويريه العلم غيرة تفرقة في أوديته فيفرق بين أحكام الحال وأحكام العلم وهو حال صحو وتمييز . وكأن الشيخ رحمه الله يشير الى ان صاحب هذا المقام يغار تفرقه [٤] من جمعيته على الله فنفسه تفر من الجمعية على الله الى تفرق العلم ، فانه لا أشق على النفوس من جمعيتها على الله ، فهي تهرب من الله الى الحال تارة والى العمل تارة والى العلم تارة ، هذه نفوس السالكين الصادقين ؛ وأما من ليس من أهل هذا الشأن فنفوسهم تفر من الله الى الشهوات والراحات ، فأشق ما على النفوس جمعيتها على الله وهي تناشد صاحبها أن لا يوصلها اليه وان يشغلها بما دونه ؛ فان حبس النفس على الله شديد وأشد منه حبسها على أوامره وحبسها عن نواهيه ؛ فهي دائما ترضيك بالعلم عن العمل وبالعمل عن الحال وبالحال عن الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر لا يعرفه الا من شد مئزر سيره الى الله وعلم ان كل ماسواه فهو قاطع عنه

وقد تضمن كلامه في هذه الدرجة ثلاث درجات - كما أشار اليه - : درجة الحال ، ودرجة العلم ، ودرجة التفرقة بين الحال والعلم ، وهذه الثلاث درجات [٥] هي المختصة بالمعنى الثاني من معاني الوقت والله أعلم

---

(١) في ب زيادة « بالغين المعجمة » (٢) وفيها « غيرة » (٣) وفيها « فيعار حتما احتجابه » الخ (٤) وفيها « تفرقته » (٥) كان الظاهر أن يقال : الثلاث الدرجات

فصل

قال ﴿ والمعنى الثالث [1] قالوا : الوقت الحق . أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي لكنه اسم [2] في هذا المعنى الثالث لحين تتلاشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا . وهو فوق البرق والوجد ، وهو يفارق [3] مقام الجمع لو دام وبقي ، ولا يبلغ وادي الوجود لكنه يلقي [4] مؤنة المعاملة ، ويصفي عين المسامرة ، ويشم روائح الوجود ﴾

هذا المعنى الثالث من معاني الوقت أخص مما قبله وأصعب تصورا وحصولا ، فان الاول وقت سلوك يتلون ، وهذا وقت كشف يتمكن ، ولذلك أطلقوا عليه اسم الحق لغلبة حكمه على قلب صاحبه ، فلا يحس برسم الوقت بل يتلاشى ذكر وقته من قلبه لما قهره من نور الكشف

فقوله « قالوا الوقت هو الحق » يعني ان بعضهم أطلق اسم الحق على الوقت ، ثم فسر مرادهم بذلك وانهم عنوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، ومعنى هذا ان السالك بهذا المعنى الثالث اذا شهد استغراق وقته في وجود الحق يتلاشى عنه وقته بالكلية ؛ وتقريب هذا الى الفهم انه اذا شهد استغراق وقته الحاضر في ماهية الزمان فقد استغرق الزمان رسم الوقت الى ماهو جزء يسير جدا من أجزائه ، وانغمر فيه كما تنغمر القطرة في البحر ، ثم ان الزمان المحدود الطرفين يستغرق رسمه في وجود الدهر وهو ما بين الأزل والابد ، ثم ان الدهر يستغرق رسمه في دوام الرب جل جلاله ، وذلك الدوام هو صفة الرب ، فهناك يضمحل الدهر والزمان والوقت ولا يبقى له نسبة الى دوام الرب جل جلاله البتة ، فاضمحل الزمان والدهر والوقت في الدوام الإلهي كما تضمحل الانوار المخلوقة في نوره ، وكما يضمحل علم الخلق في علمه وقدرهم في قدرته وجمالهم في جماله وكلامهم في كلامه [5] بحيث لا يبقى للمخلوق

(١) وفي المتن « الدرجة الثالثة » (٢) وفيه « لكنه هو اسم » (٣) وفيه وفي ب وفيه « يشارف » وهو الصواب (٤) وفيها وفيه « يكفي » (٥) لعل الاصل : وكمالهم في كماله

نسبة ما الى صفات الرب جل جلاله

والقوم اذا أطلق أهل الاستقامة منهم [مافي الوجود الا الله] أو [ما ثم موجود على الحقيقة الا الله] أو [هناك يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل] ونحو ذلك من العبارات ، فهذا مرادهم لاسيما إذا حصل هذا الاستغراق في الشهود كما هو في الوجود، وغلب سلطانه على سلطان العلم ، وكان العلم [1] مغمورا بوارده ، وفي قوة التمييز ضعف وقد توارى العلم بالشهود وحكم الحال ، فهنالك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، وتزل أقدام كثيرة الى الحضيض الادنى ، ولا ريب ان وجود الحق سبحانه ودوامه يستغرق وجود كل ماسواه ووقته وزمانه ، بحيث يصير كانه لاوجود له ، ومن هنا غلط القائلون بوحدة الوجود وظنوا انه ليس لغيره وجود البتة ، وغرهم كلمات مشتبهات جرت على السنة أهل الاستقامة من الطائفة فجعلوها عمدة لكفرهم وضلالهم ، وظنوا أن السالكين سيرجعون اليهم وتصير طريقة الناس واحدة (ويأبي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

قوله « وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي» يريد ان الحق سابق [2] على الاسم [3] الذي هو الوقت ، أي هو منزه عن أن يسمى بالوقت فلا ينبغي اطلاقه عليه ، لأن الأوقات حادثة

قوله « لكنه اسم في هذا المعنى الثالث لعين تتلاشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا» تلاشي الرسوم اضمحلالها وفناؤها، والرسوم عندهم ماسوى الله، وقد صرح الشيخ انها انما تتلاشى في الكشف لافي الوجود العيني الخارجي ، فان تلاشيها في الوجود خلاف الحس والعيان ، وانما تتلاشى في وجود العبد الكشفي بحيث لايبقى فيه سمة الاحساس بها لما استغرقه من الكشف ، فهذه عقيدة أهل الاستقامة من القوم

وأما الملاحدة أهل وحدة الوجود فعندهم انها لم تزل متلاشية في عين وجود الحق ، بل وجودها هو نفس وجوده ، وانما كان الحس يفرق بين الوجودين فلما

(١) في ب « وكان الغلب »(٢) وفيها « سبحانه » بدل «سابق » وهو غلط
(٣) وفيها «هذا اسم »الخ

غاب عن حسه بكشفه تبين ان وجودها هو عين وجود الحق ، ولكن الشيخ كأنه عبر بالكشف والوجود عن المقامين اللذين ذكرهما في كتابه ، والكشف هو دون الوجود عنده ، فان الكشف يكون مع بقاء بعض رسوم صاحبه فليس معه استغراق في الفناء ، والوجود لايكون معه رسم باق ، ولذلك قال « لاوجودا محضا » فان الوجود المحض عنده يفني الرسوم ، و بكل حال فهو يفنيها [1] من وجود الواجد لايفنيها في الخارج

وسر المسئلتان الواصل الى هذا المقام يصير له وجود آخر غير وجوده الطبيعي المشترك بين الموجودات، ويصير له نشأة أخرى لقلبه وروحه نسبة النشأة الحيوانية اليها كنسبة النشأة فى بطن الام الى هذه النشأة المشاهدة في العالم ، وكنسبة هذه النشأة الى النشأة الأخرى

فللعبد أربع نشآت : نشأةفي الرحم حيث لا بصر يدركه ولا يد تناله ، ونشأة في الدنيا ، ونشأة في البرزخ ، ونشأة في المعاد الثاني، [2] وكل نشأة أعظم من التي قبلها ، وهذه النشأة للروح والقلب أصلا ، وللبدن تبعا ، فالروح في هذا العالم نشأتان (احداهما) النشأة الطبيعية لمشتركة (والثانية) نشأة قلبية روحانية يولد لها قلبه و ينفصل من مشيمة طبعه ، كما ولد بدنه وانفصل من مشيمة البطن ، ومن لم يصدق بهذا فليضرب عن هذا صفحا وليشتغل بغيره . وفى كتاب الزهد للامام أحمد ان المسيح عليه السلام قال للحواريين : إنكم لن تلجوا ملكوت السماء حتى تولدوا مرتين . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : هي ولادة الارواح والقلوب من الابدان وخروجها من عالم الطبيعة كما ولدت الابدان من البدن وخرجت منه ، والولادة الأخرى هي الولادة المعروفة والله أعلم

قوله « وهو فوق البرق والوجد » يعني ان هذا الكشف الذي تلاشت فيه الرسوم فوق منزلتي البرق والوجد ، فانه أثبت وأدوم ، والوجود فوقه لانه يشعر بالدوام ؛ قوله « وهو يشارف مقام الجمع لو دام » أي لو دام هذا الوقت لشارف مقام الجمع وهو ذهاب شعور القلب بغير الحق سبحانه وتعالى شغلا به عن غيره فهو

(١) وفيها « ينشيها » وهو غلط (٢) كلمة الثاني من زيادة ب

جمع في الشهود . وعند الملاحدة هو جمع في الوجود ، ومقصوده أنه لو دام الوقت بهذا المعنى الثالث لشارف حضرة الجمع لكنه لا يدوم .

قوله « ولا يبلغ وادي الوجود » يعني ان الوقت المذكور لا يبلغ السالك فيه وادي الوجود حتى يقطعه ، ووادي الوجود هو حضرة الجمع ، قوله « لكنه يلقي مؤنة المعاملة » يعني ان الوقت المذكور وهو الكشف المشارف لحضرة الجمع يخفف عن العامل اثقال المعاملة مع قيامه بها أتم القيام بحيث تصير هي الحاملة ، فانه كان يعمل على الخبر فصار يعمل على العيان ، هذا مراد الشيخ . وعند الملحد انه يفني عن المعاملات الجسمانية ، ويرد صاحبه الى المعاملات القلبية ، وقد تقدم اشباع هذا المعنى

قوله « ويصفي عن المسامرة » المسامرة عند القوم هي الخطاب القلبي الروحي بين العبد وربه ، وقد تقدم ان تسميتها بالمناجاة أولى ، فهذا الكشف يخلص عن المسامرة من ذكر غير الحق سبحانه ومناجاته

قوله « ويشم رائحة الوجود » أي صاحب مقام هذا الوقت الخاص يشم روائح الوجود وهو حضرة الجمع فانهم يسمونها بالجمع والوجود ، ويعنون بذلك ظهور وجود الحق سبحانه وفناء وجود ماسواه . وقد عرفت ان فناء وجود ماسواه باحد اعتبارين : إما فناؤه من شهود العبد فلا يشهده ، وإما اضمحلاله وتلاشيه بالنسبة الى وجود الرب ، ولا تلتفت الى غير هذين المعنيين فهو إلحاد وكفر والله المستعان ؟

استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر

ذهب ذاهب بل كتب كاتب يقول في البيت المشهور الجامع لعيوب الخطيب في أول كتاب البيان والتبيين للجاحظ

جديرٌ بِبُهرٍ والتفاتٍ وسَعلةٍ ومسحة عُثنون وفتل الاصابع

: إن ضبط التفات وما عطف عليه بالجر غلط صوابه الرفع فيها كلها على ان « التفات » مبتدأ حذف خبره وما بعده معطوف عليه . فان كان يوجد أحد يجيز فهمه وذوقه للغة هذا الضبط فليتفضل ببيان ذلك لنا ؟